

تفسير السعدي

@ 285 @ ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم ، وكان جارماً ببذل مجهوده على إغوائهم ، طن وصدق طنه فقال : ! 2 2 ! فإن القيام بالشكر ، من سلوك الصراط المستقيم ، وهو يريد صدهم عنه ، وعدم قيامهم به ، قال تعالى : ! 2 2 ! . وإنما نبهنا ا على ما قال وعزم على فعله ، لنأخذ حذرنا ونستعد لعدونا ، ونحترز منه بعلمنا ، بالطريق التي يأتي منها ، ومداخله التي ينفذ منها ، فله تعالى علينا بذلك ، أكمل نعمة . ^ (قال اخرج منها مذهباً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأ جهنم منكم أجمعين) ^ أي : قال ا لإبليس لما قال ما قال : ! 2 2 ! خروج صغار واحتقار ، لا خروج إكرام بل ! 2 2 ! أي : مذموما ! 2 2 ! مبعداً عن ا ، وعن رحمته ، وعن كل خير . ! 2 2 ! أي : منك وممن تبعك منهم ! 2 2 ! وهذا قسم من ا تعالى ، أن النار دار العصاة ، لا بد أن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس . ^ (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا ه ذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن ه ذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) ^ ثم حذر آدم شره وفتنته فقال : ! 2 2 ! إلى قوله : ! 2 2 ! . أي أمر ا تعالى ، آدم وزوجته حواء ، التي أنعم ا بها عليه ، ليسكن إليها ، أن يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعاً فيها بما أرادا ، إلا أنه عين لهما شجرة ، ونهاهما عن أكلها ، و ا أعلم ، ما هي ، وليس في تعيينها فائدة لنا . وحرّم عليهما أكلها ، بدليل قوله : ! 2 2 ! فلم يزالا ممثليين لأمر ا ، حتى تغلغل إليهما ، عدوهما إبليس بمكره ، فوسوس لهما وسوسة ، خدعهما بها ، وموه عليهما وقال : ! 2 2 ! أي : من جنس الملائكة ! 2 2 ! كما قال في الآية الأخرى : ^ (هل أدلك على شجرة الخلق وملك لا يبلى) ^ . ومع قوله هذا ، أقسم لهما با : ! 2 2 ! أي : من جملة الناصحين ، حيث قلت لكما ، ما قلت . فاغترا بذلك ، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل . ! 2 2 ! أي : أنزلهما عن رتبتهما العالية ، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوصارها ، فأقدا على أكلها . ! 2 2 ! أي : ظهرت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة ، فصار للعي الباطن من التقوى في هذه الحال ، أثر في اللباس الظاهر ، حتى انخلع ، فظهرت عوراتهما ، ولما ظهرت عوراتهما

، خجلا ، وجعلا يخصفان على عوراتهما ، من أوراق شجر الجنة ، ليستترا بذلك . ! 2 ! 2
وهما بتلك الحال موبخا ومعاتبا : ^ (ألم أنهما عن تلك الشجرة وأقل لكما إن الشيطان
لكما عدو مبين) ^ فلم اقترفتما المنهي ، وأطعتما عدوكما ؟ فحينئذ ، من اِ عليهما
بالتوبة وقبولها ، فاعترفا بالذنب ، وسألا اِ مغفرته فقالا : ! 2 ! 2 ، أي : قد فعلنا
الذنب ، الذي نهيتنا عنه ، وأضررنا بأنفسنا ، باقتراف الذنب ، وقد فعلنا سبب الخسار إن
لم تغفر لنا ، بمحو أثر الذنب وعقوبته ، وترحمنا بقبول التوبة والمعاواة من أمثال هذه
الخطايا . فغفر اِ لهما ذلك ! 2 ! 2 . هذا ، وإبليس مستمر على طغيانه ، غير مقلع عن
عصيانته ، فمن أشبه آدم بالاعتراف ، وسؤال المغفرة والندم ، والإقلاع إذا صدرت منه الذنوب
اجتباها ربه وهداه . ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب ، لا يزال يزداد من المعاصي فإنه
لا يزداد من اِ إلا بعدا . ! 2 ! 2 ! 2 ! 2 ، أي : قال اِ ، مخاطبا لآدم وحواء بلفظ الجمع
لأن إبليس هبط من قبل إلى السماء ، ثم هبطوا جميعا إلى الأرض . وكرر الأمر لإبليس ، تبعا
لهما ، ليعلم أنهم قرناء أبدا ، لأن إبليس ، لا يفارق الإنسان ، بل يلزمه كل الملازمة ،
ويبذل كل جهده ، في إضلال بني آدم . وجملة ! 2 ! 2 في موضع نصب على الحال ، من الضمير
الذي هو الواو ، في ! 2 ! 2 . وخلاصة المعنى أن اِ قال لهما وللشيطان : اهبطوا جميعا
من الجنة إلى الأرض متعادين ، ولكم في الأرض ، استقرار ، وموضع استقرار ، تتمتعون
وتنتفعون ، إلى حين انقضاء آجالكم . ^ (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون *
يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من
آيات اِ لعلمهم يذكرون) ^ أي : لما أهبط اِ آدم وزوجته وذريتهما إلى الأرض ، أخبرهما
بحال إقامتهم فيها ، وأنه جعل لهم فيها حياة ، يتلوها الموت ، مشحونة بالامتحان والابتلاء
، وأنهم لا يزالون فيها ، يرسل إليهم رسله ، وينزل عليهم كتبه ، حتى يأتيهم الموت ،
فيدفنون فيها . ثم إذا استكملوا ، بعثهم اِ ، وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار
حقيقة ، التي هي دار المقامة . ثم امتن عليهم بما يسر لهم ، من اللباس الضروري ،
واللباس الذي